

## التلفزيون مختلس الوقت..خادم خائن

د.

آمال علاوشيش

أستاذة محاضرة (أ)  
ق

سم الفلسفة

### ملخص:

هذا المقال هو ترجمة لنص كتبه المفكر الأمريكي المعاصر جون كوندري (1938-1993) John Condry، وقد ورد له في نشر ثنائي مع كارل بوبر ( ) في كتاب بعنوان: التلفزيون خطر على الديمقراطية (La télévision : un danger pour la démocratie)، ونشر في سلسلة (Paris : Anatolia bibliothèque 18/10 Editions, 1994)، يتحدث فيه عن مساوئ جهاز التلفزيون بمختلف تأثيراته السلبية خاصة على شريحة الأطفال باعتبارها فئة هشة يسهل استمالتها وتطويعها. كان كوندري أستاذاً بجامعة كورنيل الأمريكية وهو عالم نفس ومختص في التربية وتنمية القدرات البشرية والعلاقات الأسرية. له أبحاث ضليعة في مجال التأثير الذي يمارسه التلفزيون خاصة على فئة الأطفال. توفي بأزمة قلبية عن عمر يناهز 54 عاماً. أهم مؤلفاته: La psychologie de la télévision.

### النص:

يتقدم التطور البيولوجي ببطيء مفضلاً على امتداد القرون والألفيات بعض الطفرات عن أخرى، أما التطور الاجتماعي فهو من طراز — آخر حيث تحفزه الاكتشافات والاختراعات، وغالباً ما يكون سريعاً لا يمكن التنبؤ به. بعض الاختراعات لم تسبب سوى تغييرات طفيفة خيرة في مجملها وسيئة أحياناً كالبارود، ولكن بعضها الآخر يغير المجتمع والثقافة بصفة عميقة غير متوقعة، وهذان -المجتمع والثقافة- لا يمكن فهمهما إلا عبر استعادتها أو استردادهما.

اليوم هناك شيء يزعجنا يتعلّق بالطريقة التي ينمو بها الأطفال الأمريكيان، إنها حقيقة لا يمكن نكرانها، ونحن نقدم لهذا الوضع شروحات أو تفسيرات جد متباينة تتعلّق في مجملها بالتحويلات السريعة التي حصلت في السنوات الأخيرة. لقد أحدث التطور الهائل في وسائل المواصلات تغييراً في النسيج العمراني، محطماً بذلك الأحياء القديمة ومفكّكاً البنى الاجتماعية التحتية، وأصبحت الأسرة تبدو فاقدة الوجهة بشكل كلي، والمدرسة تعمل بشكل سيء في حال عملت، والاختبارات المقترحة على التلاميذ تبين التراجع المستمر للمستوى الدراسي منذ عشرين عاماً، ولا يوجد على ما يبدو أي مؤشر للتحسن، إلى جانب تزايد حالات الانتحار والقتل يوماً بعد يوم، وكثير من الأطفال يظهر

عليهم الاضطراب الجسدي والنفسي. في هذا السياق، هل يمكن أن يعدّ التلفزيون المسئول عن هذا الوضع؟

حتى نفهم الدور الذي تقوم به التلفزة في حياة الأطفال الأمريكيين، من المهم أن ننظر أولاً في مسألة احتياجات الأطفال. كيف يصبح طفل ما عنصراً مفيداً في المجتمع؟ كيف يساعدنا قصوره على تهيئته لعمر الرشد؟ وفي أي شيء يوظف وقته؟ إن الزمن وحدة قياس صادقة، وعلى خلاف الثروة والحظ يعدّ خيراً يتمتع به الجميع على قدم المساواة، خلال أربع 24 وعشرين ساعة يومياً يظل الأطفال يقضين بمعدل 16 ساعة وبالتالي على 112 ساعة أسبوعياً، وهذا ما ستعتمد عليه دراستنا. فبماذا يشغل الأطفال الأمريكيون هذه الفترة (112 ساعة)؟

حتى بداية القرن الماضي، كان أغلب الأطفال يقضون هذا الوقت داخل الجماعات وداخل القرية التي ولدوا بها، في ملاحظة الراشدين يقومون بأعمالهم اليومية، فكانوا يكتسبون القدرات والهيئات التي تتيح لهم بعد ذلك التكيف مع المجتمع الذي يحيط بهم، وعندما يبلغون سنّ الرشد تتحوّل تلك الاستعدادات التي تطوّرت في فترة الطفولة إلى ممارسة. هكذا، فإن ما يتمّ تعلّمه في العائلة لمدة جيل يصبح نموذجاً للجيل الذي يليه، لتهيئاً الطفل بمقتضى ذلك للعمل وللحياة ومعرفة العالم كما هو موجود من أجل العائلة والجماعة. بدأت الأشياء تتغيّر مع الثورة الصناعية وازداد عدد الأطفال الذين يغادرون الجماعة التي نشأوا في وسطها، ليتجهوا نحو المدن القديمة والجديدة طلباً لشروط حياة أفضل. في هذا العالم الحضري والصناعي، كان الأطفال يتمرّنون بطريقة أخرى، والمدارس تستكمل التعليم الذي تمّ اكتسابه عبر الملاحظة اليومية، وخلال السنوات الأخيرة تطوّر الوضع بشكل مذهل أيضاً.

إننا نعلم أنّ الطفل الأمريكي يقضي حوالي أربعين ساعة أسبوعياً في مشاهدة التلفزيون أو ممارسة ألعاب الفيديو، وإذا أضفنا الأربعون ساعة التي يقضيها في المدرسة مع حساب الوقت الذي يستغرقه في المسافة والواجبات، لن يتبقّى له سوى ثلاثون اثنان وثلاثون ساعة يقضيها مع أصدقائه وعائلته. وحتى تكون لدينا فكرة عمّا تعلّمه الأطفال من العالم الذي يحيط بهم ومن أنفسهم، ينبغي أن ننظر عن قرب إلى مكونات هذا المحيط: العائلة، المدرسة والجوار، مع منح عناية خاصة للتلفزيون. الدور الذي يلعبه هذا الأخير داخل المحيط وبالتالي في مجمعة الأطفال يستحقّ الفحص بعناية.

### لماذا يشاهد الأطفال التلفزيون؟

عندما يحلّ الأطفال أمام جهاز التلفزيون فإنّ دوافعهم تختلف تماماً عن دوافع الراشدين، هؤلاء يشاهدونه على العموم بإقرار — منهم من أجل الترفيه. معظم الأطفال بالإضافة إلى أنهم يجدونه أيضاً مسلّياً يشاهدونه من أجل أن يفهموا العالم بشكل أفضل. الراشدون على العموم يمنحون التلفزيون أهميّة أقلّ ويشاهدونه بما قد نسمّيه "السّذاجة الواعية": من أجل التسلية يقبلون التوصيفات اللاعقلانيّة، وضمن الإطار والمسلمات التي تقترحها عليهم الحصص، لا يجدون صعوبة في تقبّل انتقال شخص — في الهواء، أو تخفيه أو قيامه بأفعال خارقة، وبالتّعريف ليس من الضروري أن يكون الخيالي ممكناً أو حقيقياً أو واقعياً.

الأطفال في المقابل، وهم يستمتعون بهذا المظهر الترفيهي للتلفزيون، يجدون صعوبة كبيرة في التمييز بين الحقيقة والخيال بسبب الفهم المحدود الذي يملكونه عن العالم، وهم بذلك أكثر قابلية للانجرار من الراشدين. فضلاً عن ذلك، فإن التأثيرات التي تمارس عليهم- العائلة، أفراد محيطهم، المدرسة والتلفزيون- تعمل كلها في وقت واحد، ويجد الأطفال صعوبة في انتقاء المعلومات التي ترد إليهم من مختلف هذه السياقات، أيضاً فإن المعلومة التي يتم الحصول عليها في أحدها لا تكون نافعة إلا إذا كان لها علاقة بالمعلومات المستقاة في السياقات الأخرى، ودون مساندة الأسرة سيضيع جزء كبير مما يتعلمونه في المدرسة ولو كانت المدرسة فعالة أكثر فإن قوة التلفزيون ستقل، والأمر نفسه بالنسبة لأفراد المحيط الذي يمارس قدرة وتأثيراً خاصين لا تملكهما المدرسة.

### الزمنوالمحتوى

يستند التأثير الذي يمارسه التلفزيون إلى عاملين: الوقت الذي نقضيه في مشاهدته ومحتوى البرامج، كلما قضى المشاهد وقتاً أطول أمامه كلما تلقى أثره أكثر، رغم أن هذا الأخير- الأثر- يتعلق بشكل ما بالمحتوى. ولدت التلفزة في الولايات المتحدة الأمريكية في سنوات الخمسينات. في بداية العشرية حوالي 50% من العائلات كانت تملك تلفزيوناً، في 1960 ارتفع هذا العدد إلى 90%، وتقريباً كل من كان يملك جهازاً يشاهده بشكل منتظم، وهو ما شكّل تغييراً عميقاً في استعمال جدول الزمن لدى الأمريكيين، وإذا كان اختراع السيارة قد ساهم في ارتفاع لا يزيد عن 6% من الوقت الذي يقضيه الأمريكيون في السفر (حيث أتاحت قطع مسافات طويلة)، فإن مجيء التلفزيون أي قدومه ساهم حسب بعض التقديرات في رفع عدد الساعات التي يخصصها الأمريكيون لوسائل الإعلام بنسبة 58%.

منذ 1950 ما فتئ الوقت الذي نقضيه الأسرة الأمريكية المتوسطة أمام الشاشة الصغيرة يرتفع- هو اليوم أكثر من 7 ساعات في اليوم. الأمريكي المتوسط يشاهد التلفزيون حوالي 4 ساعات في اليوم خلال الأسبوع، وأكثر بقليل في عطلة نهايته. في سنوات الثمانينات عندما اجتاحت الكابلات والمسجلات التلفزيونية الأسواق، بدأ معدل الاستماع في الانخفاض بالنسبة للقنوات الرئيسية الثلاث، ليصل إلى ما بين 90% و 60% اليوم. ومع ذلك بقي عدد الساعات التي تقضى أمام شاشة التلفزيون تقريباً نفسه، فقط عدد القنوات هو الذي تغير. إن هذه المعطيات الإحصائية تصدق على الأطفال كما على الراشدين.

يشاهد الطفل الأمريكي التلفزيون بمعدل 4 إلى 5 ساعات في اليوم خلال الأسبوع، ومن 7 إلى 8 ساعات في عطلة نهايته، وهو ما يعني مجموع استهلاك 40 ساعة أسبوعياً، هذا الرقم يتضمن أفلام الفيديو وألعاب الفيديو وبرامج الكابلات، وبصرف النظر عن نوعية الحصص المقترحة فإن الأطفال الذين يشاهدون التلفزيون يقرؤون ويلعبون أقل، وهم أكثر عرضة من غيرهم للسمنة. إنها النتائج غير المباشرة لاستهلاك المفرط للشاشة الصغيرة.

وإذا كانت السمنة لدى الشبان الأمريكيين تعدّ مشكلاً وطنياً، فهل يمكننا القول بمقتضى هذا أن التلفزيون هو ميدان ملائم لهذا المرض؟

على الرغم من أننا لا نعرف بالضبط أي رابط سببي بين التلفزة والسمنة، هناك أسباب وجيهة تجعلنا نعتقد ذلك، والحقيقة أن مشاهدة التلفزيون تنتج عنها سلبية كبيرة على المستوى الجسمي وهذه الأخيرة تدفع الناس أحياناً إلى استهلاك الأطعمة، وقد بينت

الدراسات انخفاضاً في الأيض عند المشاهدين، وبخاصة عند الأطفال الذين يعانون السمنة من قبل، ومن الممكن أيضاً أن يُسهم الإشهار الذي يعظم استهلاك المنتجات الغذائية لدى المشاهد، فالإشهار في التلفزيون يقوم أساساً على الطعام.

إنّ التلفزة ناهية للوقت، فعندما يشاهدها الأطفال لساعات يفقدون على المدى الطويل منافع نشاطات أخرى من شأنها أن تكون أكثر أهمية في نموهم، ولكن هناك مظهر أشدّ خطراً هو محتوى الحصص، والإشهار نفسه يؤثر بعمق في قدرات ومعتقدات وأفعال الأطفال. وعلى العموم، يبدأ الأطفال في مشاهدة الرسوم المتحركة منذ الثانية من العمر، وفي عمر السادسة، يصبح أغلبهم، أي حوالي 90% قد تعود على التلفزيون، وبين 6 و 11 تلقى مواقف الكوميديا وأفلام المغامرات الاستحواذ الأكبر. يشاهد الأطفال الصغار الرسوم المتحركة لأنّ هذه الأخيرة يعبر عنها برموز بشكل واضح، أي كلّ حركة فيها تسترعي مؤثرات صوتية خاصة تهدف إلى إثارة انتباههم، ولأنّه من الصعب ضبط وتثبيت انتباههم تأتي الرموز الصوتية لتساعدهم على ذلك.

إذا كان من الصعب في معظم الوقت تثبيت انتباه الطفل، فذلك لأنّهم لا يفهمون كلّ محتوى الحصص، فهم لا يعون الأجزاء مما يرونه على عكس الراشدين. إنهم لا يستطيعون فهم الوحدات التصويرية الطويلة، ويفلت منهم جزء كبير من دوافع ومقاصد مختلف الشخصيات، ولكن من هو هو الأ

هـ

م- هم غير قادرين على الاستنباط وفهم ما هو ضمني أو مضمّر. عندما يشاهدون على سبيل المثال مشاهد عنف، من المحتمل أن يستنتجوا بطريقتهم أنّ "القوي هو الذي يكون على صواب"، وبالمقابل لديهم صعوبة في فهم المغزى الدقيق وأنّ بعض الأفعال مبرّرة أكثر من غيرها، ولكن على العكس هم يفهمون بلا مشقة أنّه بوسعنا أن نحصل على ما نريد عن طريق السلطة.

هذا المعنى يبدو بشكل أكثر وضوحاً في الرسوم المتحركة التي تتعلّق بالإثارة والمغامرات، والتي عوّضت المشاهد التي كانت تعرض على المباشر في حصص الأطفال في مرحلة سابقة، وقد بيّنا بإسهاب أن مجموع العنف المقدم في هذه الأخيرة أعلى بكثير من ذلك الذي نجده في البرامج المخصصة للراشدين (البالغين) في وقت الذروة أي ساعات الإصغاء التلفزيوني الكبير، وهناك دراسة حديثة بيّنت كذلك أنّ هناك في المعدل 25 تصرف عنف في الساعة في الحصص المخصصة للأطفال، و 5 فقط في البرامج المخصصة للإصغاء الكبير، والرسوم المتحركة المرتبطة بالإثارة والمغامرات تروي في الواقع قضايا السلطة. ولكن هل تؤثر هذه الحصص على سلوك الأطفال؟

مئات الأبحاث التي تمّ توجيهها بدءاً من بداية الستينات -دراسات تجريبية استخدمت تقنيات متنوّعة تناولت أطفالاً صغاراً وتحقيقات أجريت في أوساط مختلفة- اتفقت بالإجماع على أنّ الأطفال الذين يشاهدون التلفزيون بكثرة هم أكثر عدوانية ممّن يشاهدونه أقل، المشاهد العنيفة لا تؤثر في سلوكهم فقط ولكن أيضاً على العموم في معتقداتهم وقيمهم، وعلى سبيل المثال الذين يشاهدونه بكثرة يخافون بعامة أكثر عنف العالم

الحقيقي، البعض منهم في المقابل أزيل إحساسهم به فهم أقل انزعاجاً أو فزعاً وردّة فعلهم أقل شدة.

من جهة أخرى فإنّ الحصص الموجهة للأطفال تقدّم رجالاً ونساءً في أدوار نمطيّة مقولبة، فينتهي الأطفال الذين تعودوا على قضاء ساعات طويلة أمام التلفزيون إلى إعادة إنتاج هذا الرّسم أو المخطط، ويكفي أن نلاحظ الطريفة التي يتمّ من خلالها تمثيل الشّبان والعجزة، والأطباء والشرطة أو حتّى المرضى العقليين لتنبين كيف أنّ التلفزيون يعطي صورة مشوّهة عن الواقع.

كلّما كبر الطفل كلّما أصبح أكثر قدرة على فهم الحكايا المعقّدة، من جهة — لأنّه يعرف بشكل أفضل العالم الذي يحيط به، ومن جهة أخرى لأنّه ألف الرّموز ووظيفة التلفزيون، بحيث تحوّل بدوره إلى اختصاصيّ في الشّاشة الصّغيرة. من الآن فصاعداً أصبح يستمتع الأفلام بالتلفزيونية ومواقف الكوميديا، ومثل الرّسوم المتحرّكة ترفق هذه البرامج بضحكات مسجّلة، هذه الأخيرة عوضتوضاء الموضوع الخاصّة، لكن الأثر الذي تتركه في انتباه وفهم المشاهد هو نفسه.

بمرور الأعوام أصبحت الرّوايات التلفزيونية هي الحصص الأكثر شعبية لأنّها خالية من العنف، وعبر موجات الضّحك المسجلة ينبّه الأطفال إلى أنّ شيئاً هاماً قد حصل، ومن خلال هذه الوسيلة يتعرّفون على الممارسات والقيم الخاصّة بثقافتهم، لا سيّما السلوكيات الجنسية. في بداية المراهقة حوالي 9 و 10، تتغيّر أذواقهم بحسب جنسهم وتميل للاقتراب من الرّاشدين، ستفضّل الفتيات الأفلام الرّوائية لأنّهم يعتقدون أنّهم سيتعلّمون منها شيئاً عن الحياة، وسيبحث الأولاد عن المغامرة والإثارة وغالباً للأسباب نفسها.

تقدّم أفلام الإثارة والمغامرات الرّجال على العموم في دور القادة المنتصرين على الشرّير، وهو نوع السيناريو الذي يعجب الأولاد والمشاهد التي تضع على المسرح أبطالاً رجالاً فتعجب الفتيات أيضاً، ولكن القضية العكسية ليست صحيحة لأنّ الأولاد يتجنّبون الحصص حيث يسند الدور الرّئيسي فيها لفتاة شابة أو امرأة، ولهذا السّبب يوجد هدد قليل فقط من الحصص التلفزيونية التي تكون فيها الشّخصيات الرّئيسية من النّساء، هذه الحصص ببساطة أقل دخلاً.

## مدح الحاضر

عندما يشاهد أطفال التلفزيون ألا يواصلون في ملاحظة المجتمع من أجل أن يفهموا الموقع الذي ينبغي أن يشغلوه فيه؟ ألا يعلمهم التلفزيون عاداتنا بل أكثر وبالضبط كما في الماضي، يلتقون قواعد العيش في مجتمع من خلال ملاحظة النّاس الذين يعيشون فيه؟

يمكن الإجابة بنعم وبلا، نعم لأنّ الأطفال يتابعون ملاحظة العالم ولكنهم يقومون بذلك بمفردهم لأنّ تدخّل الرّاشدين ومساعدتهم تقلّ أكثر، ولا لأنّ التلفزيون لا يخبرهم عن العالم بل كثيراً ما يقدّم لهم صوراً مشوّهة، فالهدف منه ليس أن يقدّم أخباراً عن العالم الواقعي، وعندما يحاول أن يلعب هذا الدور تكون النّتيجة رديئة دائماً. التلفزة الحديثة وبخاصّة التلفزيون الأمريكي ليس لها سوى غرض واحد هو البيع، إنّها في الأساس أداة تجارية، قيمها هي السّوق وبنيتها ومحتواها هما انعكاس لهذه الوظيفة.

إنّ واجب مسؤولي البرمجة هو النجاح في جذب أنظار وانتباه الجمهور والاحتفاظ به لفترة كافية، من أجل تمرير رسالة

إشهارية، وإذا أخذنا في الحسبان النفسية أو العقلية البشرية فهذه ليست بالمهمة السهلة، لأنّ البشر يتعبون بسرعة وتغلب عليهم اللامبالاة، وللبقاء على انتباههم التلفزيون مضطراً دائماً إلى التحوّل، فضلاً عن ذلك فإنّ مصالحه توجد في الحاضر العاجل، والمسائل التي لا يمكن حلّها في المدى القصير لا تهتمّ، هكذا تمّ نسيان ثورة القيتو (ghettos) في لوس أنجلوس والتي كانت على رأس قائمة الأخبار لمدة أسبوع، إذا افترضنا أنّ التلفزيون يعكس ذاكرة الجمهور فعلاً.

لا تملك المسلسلات المتلفزة الأفلام التلفزيونية أي سببٍ لتأخذ الواقع في الحسبان، وإذا كان تشويه الحقيقة يسمح بشدّ انتباه الجمهور فلن يتردّد في تشويهها. إنّ الهدف الأول له هو الحصول على الاستمتاع، والتلفزة التربوية لا تبتعد عن هذا الإلزام، وحتىّ إن لم تهتمّ ببيع منتجاتها فهي في منافسةٍ مع التلفزيون التجاري فيما يخصّ المستمعين. يعيش التلفزيون في الحاضر ولا يحترم الماضي وهو قليل الاهتمام بالمستقبل، وهو عندما يشجّع الأطفال على البقاء مقطوعي الصلة بالماضي وبالمستقبل يؤثّر بشكلٍ مفعجٍ وكارثي. ومن بين أولى وظائف التربية في المنزل أو في المدرسة هي بيان

ر

ابط بين الماضي والمستقبل، كيف ينبثق الحاضر من أحداث الماضي وكيف يرتبط المستقبل بهما معاً.

التلفزيون محكومٌ بالزمن. في نهاية حصّة ما لا بدّ أن تحلّ الحبكات أو تتلاشى كلّ الشكوك، لقد حان الوقت لبيع منتجات. هكذا تتحكّم الساعة الجدارية في الانتقال من حصّة إلى أخرى، وإلى منتجاتٍ أخرى. من خلال هذا المظهر يذكّر التلفزيون بالمدرسة، فحين يولي تلميذ ما اهتماماً بموضوع معيّن، أو عندما يبدأ نقاش جذاب أو محفّز قبر أن يرنّ الجرس لا نملك سوى الانصياع لطغيان الساعة الجدارية. لقد انتهى الوقت ويجب أن نغيّر الموضوع. مثل هذه التصرّفات من شأنها أن تعيق التعلّم وتقلّل من الاهتمام، إنّها تعلّم الأطفال أن يتطرقوا إلى كلّ شيء بطريقة سطحية، وهل من شيء أكثر غرابية من أن يلاحظ المعلمون نقص التركيز لدى التلاميذ ومنه عدم قدرتهم القيام بعمل يستدعي نفساً طويلاً، حتّى وإن تعلّق الأمر بموضوع هم من اختاروا دراسته؟

لا التلفزيون ولا حتّى المدرسة بوسعهما أن تربّيا إقبال الأطفال لأكثر من فترة محدّدة، وهو ما لا يشجّع البحث عن المعرفة. إنّ التلفزيون هو دليل — على أن لا فضول حقيقيّ، هذا الأخير غالباً ما ينقص الأطفال الذين تعودوا على مشاهدته طويلاً، إنّ نظام كلّ شيء بامتياز لا يترك أيّ مجال — للأغاز، ولا بدّ من وقت — لاكتشاف الأسرار الحقيقيّة وهو ما يفترض أيضاً الانطلاق من معارف حقيقيّة ومواقف واقعيّة لتحفيزها.

يحصّل أن تخصّص الأخبار بعض اللحظات لسرّ أصيل، ولكن الأطفال لا ينسجمون مع الأخبار مطلقاً ويفضّلون مشاهدة حصص أخرى التي تتحدّث عن أحداث غريبة، وواحدة منها "الأغاز التي لم تحلّ" التي تروي في مجملها قصصاً — تافهةً — من قبيل مركبة فضائية

حطَّت في "نيو جرسي"، أو حدث خيالي آخر من نفس النوع، هذه الأخيرة لا علاقة لها بالواقع ولا أي شيء غريب مهما كان.

وإذا كان يقال أنَّ أطفال اليوم قساة تجاه بعضهم البعض وكلُّ شفقة تعدُّ غريبة عنهم، وإذا كانوا يهزؤون ويحتقرون من هم بحاجة إلى المساعدة، فهل هذا الوضع هو نتيجة لما يشاهدونه في التلفزيون؟ صحيح أنَّ الفقراء والتَّعساء نادرًا ما يشغلون الشاشة الصُّغيرة، وعندما يظهرون يجعل منهم أضحوكة.

تكون الثروة في التلفزيون هي مفتاح السَّعادة، حيث نعجب بالأغنياء الذين يقطنون مساكن رائعة ويتجولون داخل سيارات الليموزين البرَّاقة، والأسخف أنَّنا لا نظهر النَّاس أثناء العمل ولا كيف حصَّلوا الممتلكات التي يتفخرون بها، فلا علاقة يتمُّ إنشاؤها بين الثروة والعمل. إنَّ الأطفال يفضِّلون الحلول الأكثر سهولة ويطمحون إلى السَّعادة التي يصوِّرها التلفزيون- بمعنى الخيرات المادية- ولكنهم لا يعرفون ما الذي ينبغي القيام به للحصول عليها، وكيف لهم أن يعرفوا ذلك؟

يعدُّ إظهار أناس أثناء العمل بالنسبة للتلفزيون لعنة ووقتاً ضائعاً لأنَّ الحصَّة ستصبح مملَّة، وهو ما لا يجذب السَّماح به، ففي التلفزيون ينبغي أن تكون كلُّ لحظة مثيرة وكلُّ حدث- يجلب الانتباه، لهذا من المستحيل أن تبيِّن الرِّابط بين العمل والثروة أو أن تخوض في مواضيع يصعب يمثلها.

### أيُّ تعليم يمنحه التلفزيون؟

كما قال نيكولاس جونسون\_ الذي كان عضو اللِّجنة الفيدرالية الأمريكية للاتِّصال-: "التلفزيون دائماً تهديبي ولكن ينبغي معرفة ما الذي نعلِّمه؟". لننأمل بعض الحالات الخاصَّة:

منذ عشرات السنين أطلقت البلاد ما يمكن أن ندعوه "الحرب ضد المخدرات"، الجميع أو على أو أقلَّ تقريباً يقبل بأنَّ البعد التربوي لهذه العملية عنصرٌ أساسيٌّ، وفي إطار هذه الحملة قامت هيئات عديدة من بينها "الشراكة من أجل عقار حرٍّ لأمريكا" بتمويل الرِّسائل الإشهارية الموجهة للبحث في التلفزيون، هذه الأخيرة التي كانت تدوم حوالي 30 ثانية من أجل حثَّ الجمهور وبخاصَّة الشَّبان حتَّى يتجنَّبوا المخدرات.

نحن نجهل الأثر الذي تركته هذه الرِّسائل القصيرة، ولكنَّ المعطيات البسيطة التي جمعت أفادت بأنَّها لم تكن فعَّالة. ولكن لماذا؟ من بين الأسباب الممكنة لهذا الفشل التَّالي:

في حين يحذِّر التلفزيون الشَّبان أحياناً ضد المخدرات يبيِّن من جهة أخرى عدداً كبيراً من الرِّسائل لصالح استخدامها، ومن أجل أن نحدِّد إلى مدى يمكن اعتبار صحَّة هذه الفرضية، قمنا أنا و Cynthia Scheibe و Tim Christensen بعملية مسح وتفحصنا الرِّسائل التلفزيونية التي كانت موجهة لصالح المخدرات وضدَّها، انتقينا وشفَّرنا عدداً من الحصص التلفزيونية التي برمجت عام 1989 (الحصص والإعلانات)، وقد أخذنا في الحسبان كلَّ الرِّسائل المتعلِّقة بالمخدرات. الرِّسائل لمؤيِّدة كانت تظهر شخصاً يتناول الدواء تحت ضوءٍ إيجابيٍّ كما في الرِّسائل غير الملائمة (التي تظهر شخصاً في الوضع نفسه ولكن تحت ضوءٍ غير ملائم)، واقتصرنَا في دراستنا على المشروبات الكحولية والتَّبغ والمخدرات، سواء تعلَّق الأمر بالمخدرات المستنشقة أو المدخَّنة أو المدمجة.

عندما يظهر شخص بكأس كحول أو سيجارة في اليد دون أن يُشار إلى أي لفظة سلبية كنّا ندخل هذه اللقطة في خانة "الرسائل المؤيدة"، وإذا وجد شخص آخر في وضعية مماثلة ولكنّه يتعرّض للإزعاج اعتبرنا ذلك رسالة غير مؤيدة. أثناء حوالي 36 ساعة من الحصص التي نظرنا فيها بهذه الكيفية جمعنا نموذج يومين، سجّلنا 149 رسالة لها علاقة بالمخدرات، كان هناك 121 رسالة مؤيدة (81,1%) و 22 رسالة غير مؤيدة (14,8%)، 6 منها كانت غامضة. وباختصار، مقابل كل رسالة واحدة غير مؤيدة كانت هناك 6 رسائل مؤيدة، وبالنسبة لبعض المخدرات كانت النسبة أشدّ، فبالنسبة للكحول مثلاً كانت هناك 10 رسائل مؤيدة مقابل رسالة غير مؤيدة.

كان هناك عدداً كبيراً من الرسائل المؤيدة في الإعلانات التي كانت تتباهى وتشجّع بعض الموا المباحة: الأدوية، البيرة أو النبيذ، وكنا نجد هذه الرسائل أيضاً في بعض الأفلام، هذه الأخيرة التي كان معظمها يرسم صور شخصيات تستعمل بابتهاج كل أنواع العقاقير القانونية- كحول وسجائر-من أن تشعر بالتحسّن، أو أن تحتل بنجاح، وترفع من معنوياتها بعد إخفاق، أو من أجل الاسترخاء بعد يوم حافل.

مقابل رسالة تلفزيونية تقول: "ارفضوا المخدرات" 6 رسائل تقول: "إذا شعرت أنكم لستم على ما يرام، تناولوا شيئاً وستكونون أفضل"، أنتم لا تستطيعون النوم؟ خذوا مهدئاً، تنامون طوال الوقت؟ خذوا منشطاً، ترغبون في الهزال؟ خذوا مثبّطاً للشهية، تشعرون بالانهزام؟ خذوا مشروباً مقوياً أو اشربوا بيرة أو كأس من النبيذ. هكذا، في حين كانت حملات المصلحة العامة تتفانى في تحسيس الناس بمخاطر المخدرات والمكافحة ضد الاستعمال المفرط للكحول، كانت أغلب الرسائل التلفزيونية تصوّر عالم تستعمل فيه هذه المواد بغزارة. ماذا تعلّم التلفزة الشباب بخصوص هذا الموضوع؟ ألم تكشف لهم في الواقع أنّ هذه العقاقير شرعية، وأنها تشكّل جزءاً من ثقافتنا، ما عدا بالطبع تلك الموجودة على لائحة العقاقير الممنوعة؟

إنّ الصورة التي يقدّمها التلفزيون عن الجنسية ليست مختلفة، كثيرٌ من المراهقين و ومن هم في سن ما قبل المراهقة يرون في التلفزيون وسيلة للاستعلام حولها، هذه المعلومات التي لا يمكن الحصول عليها بسهولة — في مكان آخر هي بالنسبة إليهم شديدة الأهمية، معظم الآباء يجدون صعوبة في الحديث عن هذا الموضوع مع أبنائهم. وقد بيّنت عملية سبر آراء أجريت عام 1969 أن الآباء والأصدقاء يشكّلون المنابع الرئيسية في الحصول على معلومات حول الجنسية، ولم تتم الإشارة إلى التلفزيون. في عام 1987 اعتبر ثلثي المراهقين الذين تمّ استجوابهم حول هذا الموضوع بأنّ التلفزيون لديه تأثير على النشاط الجنسيّ شباب، وأنّه لم يكن يقدّم صورة واقعية أو موضوعية عن الجنسية.

في عام 1986، أجريت عملية سبر آراء لقرابة 110 مراهق تتراوح أعمارهم بين 10 و 14 سنة، من أجل معرفة نوع الحصص التلفزيونية التي يشاهدون، وبعد ذلك تمّ تحليل الطريقة التي يتم من خلالها تناول أدوار الجنسية فيها. كانت الجنسية تعرض من خلال اللغة وليس الصور، وعندما تستدعي العلاقات الجنسيّة يوضع في المشهد على العموم ثنائي غير متزوج، وكانت الأفلام التلفزيونية التي تبرز في المساء تحوي عدداً كبيراً من المشاهد أو التلميحات الجنسيّة. وفي الحصص الليلية كانت التصرفات العشقية والجنسية تقدّم بطريقة تسطير عليها روح الدّابة، في حين كان يتم الاحتفاظ بالتحليلات الأكثر

واقعية للحصص التي تبث في وقت متأخر مثل دالاس. أمّا عن المثلية الجنسية فنادرًا ما كان يتم تناول الموضوع في التلفزيون، وإن حصل يكون ذلك بشكل فكاهي. أخيرًا فقد كانت السلوكيات العشقية والجنسية المتنوعة والعادية قليلًا ما تقدّم في هذا النوع من البرامج.

يتلقى المراهق الذي تعود على مشاهدة التلفزيون بانتظام في السّمة ما معدّله 2500 رسالة جنسانية، وحسب أحد الباحثين "فإنّ المشاهد الإيروسية تمهّد أو تقدّم لمشاهد العنف أو تستعمل سياقًا له، وأيضًا تمّ إعادتها بشكل يثير ضحكاتٍ عصبية. في المواقف الكوميديّة وبرامج المنوّعات، تتلامس الشخصيات، تتعانق وتقبل بعضها، ومشاهد المداعبة والإغراء تصوّر مناخًا للحميمية الجنسية وترفق هذه المشاهد بضحكاتٍ مسجلة.

في ظلّ هذه الظروف هل يمكن أن نندهش إذا وجدنا أنّ أطفال اليوم يجدون صعوبة في تناول الجنسية؟ إذا كان التلفزيون عاجزًا عن تهينتهم لها فهذا لسببين: أولاً بسبب أنّ الصّورة التي يقدّمها عنها عموماً خاطئة ومشوّهة، لأنّه لا يعلمنا شيئاً عن تنوّع السلوكيات العشقية، ولا عن الخيارات التي نقون بها.

### القيم التي يبجّلها التلفزيون

ليست بنية المعلومة في التلفزيون هي الشيء الوحيد الذي يجب أن يقلقنا فنظامها القيمي معيبٌ — أيضاً، وقد انكببنا على تحليل للقيم التي يبجّلها التلفزيون عبر عدد كبيرٍ من الإعلانات التي تمّ بثّها عام 1983، واستخدمنا لهذا الغرض لوحة توضّح نوعين من القيم: القيم الأداتية (تلك التي تتيح بلوغ غرض — معيّن) والقيم الغائية (تلك التي تمثّل غاية في ذاتها) وقد تعلّمنا الكثير.

بعض الأشخاص على سبيل المثال يقيّمون العمل لأنّه يمنح أمنًا أو حمايةً ماليّةً وهكذا حسب تعريفنا، يكون العمل قيمةً أداتيةً والأمن المالي قيمةً غائيةً، وبتطبيق هذه اللّائحة استطعنا الحصول على عددٍ معيّن من القيم الأداتية والغائية، والقيم الأداتية الأكثر تبجيلاً هي الصدق، التضامن، المسؤولية والتسامح، بالنسبة للقيم الغائية نجد المساواة، السّلم والجمال على رأس القائمة، وبتقنين أو عقلنة هذه القيم التي تم رفعها من خلال عددٍ من اللّقطات الإشهارية المختارة بشكل اعتباطي، ارتسم تدريجياً المظهر الذي يدعونا للإعلان لتقليده.

وضمن القيم الأداتية التي تكرّرت في الإعلان كنّا نجد: "أن تكون قادرًا"، "مستعد لمساعدة الآخرين"، "أن تكون خبيثًا"، ومن بين تلك التي كانت تمثّل نادرًا كان لدينا: "أن تكون شجاعاً"، "أن تعرف كيف تعفو"، أما من بين الإعلانات التي قامت على المظهر الشخصي، فالقيم التي سلّط عليها الضوء كانت: "أن تكون جميلاً"، "أن تكون مثيراً"، "أن تمتلك مظهرًا شاباً" فلم تظهر إلّا في 6% من اللّقطات التي تمّ تحليلها.

من بين القيم الغائية، واحدة منها سيطرت على الباقي: "السعادة". هذه القيمة ظهرت تقريباً في 60% من اللّقطات الإشهارية أي مرتين في الغالب - على الأقل - من أي واحدٍ آخرى. "الاعتراف الاجتماعي" جاء في المرتبة الثانية، والقيم الاجتماعية التي تمجّد الأنانية أو الأنوية (مثل السّعادة الشخصية، حياة مهمّة، الاعتراف الاجتماعي) كانت تذكر في الغالب مقارنة بقيم الغيرية كالمساواة أو الصّداقة.

سَلَّمَ القيم هذا يتغيَّر بحسب نوعية البرامج: في حصص الأطفال مثلاً لم تكن القيم نفسها، والإعلانات الموجهة للأطفال كانت على العموم أهميّة أقلّ للقيم المسمّات غيرية أو غير الأنانية، ومن ناحية أخرى، هي تشدّد على قيم أخرى مثل اللعب واللّهُو والسَّعادة، البعض، بالمقابل - مثل مساعدة الآخرين، أن تكون مطيعاً - لم تذكر مطلقاً. من شأن سيطرة قيم الأنانية والأنوية في الإعلانات على حساب قيم الأثرة أن يجعلنا أن نفكّر.

أمّا عن الحصص الخاصّة فتحليلها أكثر صعوبة، أوّلاً لأنّها تستغرق وقتاً أطول، حيث يكون اكتشاف القيم أقلّ سهولة ضمن قصّة مركبة عنه في رسالة إخبارية من 30 ثانية، ومع ذلك فإنّ العالم الواقعي يعاني هذا التّفاوت عينه. معظم الأشخاص على سبيل المثال مقتنعون أنّ المجرمين يظلّون بلا عقاب لأنّ المحاكم متساهلة، ويعتقدون أنّ العقوبات المسلّطة قصيرة جداً، والحقيقة في واقع الأمر هي بخلاف هذه الصّورة. إذا كنّا نجد في معظم المدن الأمريكيّة من 15% إلى 18% فقط من الجرائم المسجّلة ما ينتهي منها بعملية توقيف، وغالبية الأشخاص الموقوفين يتم سجنهم لفترات قصيرة جداً، فالיום هناك 3 أضعاف من النّاس في السّجون عمّا كان عليه الوضع منذ 10 أو 12 سنة. إنّ الأحكام المنطوق بها في الولايات المتّحدة الأمريكيّة هي الأطول من نوعها مقارنة مع أيّ بلد صناعيّ في العالم الغربيّ. فمن أين لنا هذه الأفكار إذن؟ وكيف أصبحت الأحداث تختلف هكذا عن الرّأي؟ عندما نصوّر بحق الأشياء بهذه الكيفيّة، وعلى العموم من أجل التّهويل، ألا يغدّي التلفزيون معتقات خاطئة؟

على الشّاشة يتم القبض على المجرمين، ولكنهم يفلتون عمومًا من العقوبة بفضل تسامح وتساهل القضاة، والشرطة لا ترتكب أخطاء في التلفزيون فهي تعرف المذنبين حتّى قبل أن تمسك بهم، ومن كثرة مشاهدة هذا النوع من الحصص ينتهي النّاس تدريجياً، يوماً بعد يوم، وأسبوعاً بعد أسبوع، إلى اكتساب رؤية خاصّة عن العدالة والشرطة - والتي هي أساس الديمقراطية الأمريكيّة نفسها. إنّ هذه البرامج بفعل التّأثير الذي تمارسه يوميّاً لا يفوتها أن تؤثر في الخيارات السياسيّة للمرشّعين، وفي سلوك النّاهبين.

إنّ القيم الأخلاقيّة التي يمتدحها التلفزيون تتعلّق بعناية بالكيّفية التي تعرض بها الشّخصيات. من خلال دراسة طلبنا من بعض المشاهدين أن يعيّنوا موقعا لمختلف تصرّفات شخصيات فيلم على سلّم قيم انطلاقاً من جيّد وصولاً إلى سيّء، وكان على الأشخاص المستجوبين أن يقيّموا مقدار تعاطفهم مع كلّ شخصيّة. وجدنا أنّ درجة أخلاقيّة تصرّف معيّن في التلفزيون إنّما تعتمد على من يقوم به، فنحكم على سلوك بآنّه أخلاقيّ أو لا بحسب شخصيّة من يقوم به، إن كانت تعجبنا ونحبّها، أو نعتبرها منقّرة وغير ودودة ولا نثق بها، وهكذا، فإنّ الأفعال التي عادت ما ندرك أنّها لا أخلاقيّة (الابتزاز، القتل، السّطو...) تصبح مقبولة إذا قام بها من يتمتّع بتعاطف الجمهور أي بتعاطف شعبيّ.

هذه هي إذن الوظيفة الاجتماعيّة لغالبية الحصص التي تمّ تحليلها سواء كانت موجهة للبالغين أو للأطفال، فالفعل يعدّ أخلاقياً أو غير أخلاقياً بحسب من يقوم به وليس بحسب ما يقع. تمر القيم الأخلاقيّة التلفزيونية عبر شخصيات، فهناك الأخيار وهناك الأشرار، الأخيار لا يؤذون والأشرار لا يقومون بالخير، وهي تبسيطات تبدو مألوفة. إنّها الرّؤية الأخلاقيّة لطفل في الخامسة من عمره. كلّ هذه الأمثلة تبيّن لنا أنّ التلفزيون لا يمكن أن

يعدُّ مصدراً مفيداً للأخبار بالنسبة للأطفال، ويمكن أن يكون خطراً، فالأفكار التي يقترحها هي خاطئة وغير واقعية، وهي لا تمنح أيّ نظام متماسك للقيم، ونظامها القيمي لا يخدم سوى الاتصال أمّا عن المشاهد فلن يتعلم شيئاً مفيداً عن نفسه. مظاهر عديدة تجعل من التلفزيون أداة تنشئة اجتماعية بائسة، ولأنّه لم يصمّم لهذا الدور، فإنّ الأطفال الذين يستخدمونه على الأقلّ في هذا المعنى، يخرجون من طور الطفولة وهو مضطربون بشكل — محتمل.

## ما العمل؟

الآن يجب علينا أن نتوقّف عن الإفراط في التلفزيون وأن نتصرّف انطلاقاً من المعارف التي لدينا، بعض الأولياء بوسعهم أن يحدّدوا الوقت الذي يقضيه أطفالهم أمام الشاشة الصغيرة، وكيفهم أن يستخدموا الحجة التي يلجئون إليها حينما يرفض أطفالهم تناول أي شيء عدا رقائق الذرة الحلوة، لأنّ هذا النظام الغذائي مضر — بالصحة. والأضرار التي يلحقها التلفزيون متعدّدة وهي ذات منحى شخصي واجتماعي ولكن أضلّ فيزيائي وعقلي، وهذا ما لا يريد الكثير من الأولياء الاعتراف به، وفي الواقع أنّ الكثير منهم غير مقتنعين بمساوئه، ومن هم كذلك عليهم أن يتحدّثوا مع أطفالهم عن الحصص التي يشاهدونها، ويعلّقوا على ما يبدو لهم خاطئاً أو مظللاً إذ يمكن لهذا أن يكون مفيداً.

ولكنّ ما أثبتته أغلب الدراسات هو أنّ الأولياء والأبناء نادراً ما يشاهدون الحصص معاً، فقط بعض المنازل تنتقي برامجها ليلاً. سوف يتحدّث الأولياء المتيقظون مع أبنائهم عن الحصص التي يشاهدها هؤلاء في المساء أو يومي السبت والأحد صباحاً، وهذا ما يسمح للأطفال بامتلاك رؤية نقدية حول التلفزيون وما يقدّمه من أخبار.

إذا قبلنا أن يشاهد أبنائنا التلفزيون علينا أن نعمل على تحسين الحصص التي تتوجّه إليهم، ونموّل عدداً أكبر من الحصص البيداغوجية النوعية، حتّى يكون عدد الحصص المفيدة أكبر، ولا شيء يمنع أن تكون في الوقت ذاته مسلية، وعلى هذه البرامج أن تتنافس الحصص التي تنتجها شبكات تجارية، سيكون الصراع شاقاً ولكنّ الصراع بعزم وقوة من أجل صحّة وسعادة الأطفال ليس شيئاً سهلاً.

على المدرسة أن تعلّم الأطفال كيفية استخدام التلفزة، سواء تعلّق الأمر بالحصص أو بالإعلانات ومتى لا تقيد في شيء، وإذا فهموا أنّ الحصول على الخيرات المادية ليس هو الهدف الأسمى من الوجود وأنّ القيم التي تطري عليها الحصص الإعلانات التلفزيونية تتناقض مع ما يتعلّمونه في المدرسة فسيكون ذلك شيئاً هاماً، وبدل أن تتصرّف كما لو أنّ التلفزيون غير موجود — على المدرسة أن تقترح مناقشة الحصص والأفكار التي تعرض عليهم حسنة كانت أو سيئة. عليها أن تضع برامج بيداغوجية يكون هدفها أن تخلّق من الأطفال مشاهدين يتمتّعون بروح — نقدية منذ الصّغر، فلنتركهم يستعملون أجهزة الفيديو من أجل إنشاء عروض صغيرة وإعلانات حتّى يدركوا بأنفسهم أنّه من السهل تشويه الواقع من خلال كاميرا.

## خاتمة

معظم الأطفال الأمريكيان اليوم مضطربون، ومردّد ذلك في جزء منه إلى الوقت الكثير الذي يقضونه أمام التلفزيون، كل هذا الوقت هو وقت — مختلف مسلوب.

إنَّ التلفزيون يسرق من الأطفال وقتاً ثميناً هم بحاجة ليتعلّموا معرفة العالم الذي يعيشون فيه وما هو موقعهم فيه. إنّه خطرٌ — ولكن الأخطر أن يكذب التلفزيون، لأنّ يرون فيه مصدر أخبار موثوقٍ به عن العالم، والحال ليس كذلك، ولكن كيف يعلمون ذلك؟

مع بعض الحقيقة التي ينقلها التلفزيون فإنّه يوصل عدداً كبيراً من الأشياء الخاطئة والمشوّهة، سواء ما تعلّق بالقيم أو الأفعال الواقعيّة، محتوى الحصص التلفزيونية هو عنف مفرط مقارنةً بالحياة اليوميّة التي يدّعي عكسها، ورسوم الإثارة التي يشاهدها ملايين الأطفال تحتوى المشاهد الأكثر عنفاً فيه، والأطفال يفعلون بما يرونه ويسلكون هم أنفسهم بطريقة أكثر عنفاً وينتهون إلى فقدان الإحساس تجاه العنف، ويتبنّون قناعات التلفزيون وقيمه ويعتقدون فيما يقدّمه، ومن قبيل ذلك أنّنا نعيش في عالم خطيرٍ حتّى العنف عملة متداولة وجديرة بالإعجاب.

إنّ التلفزيون يؤثّر في القناعات وقيم وتصرفات المشاهدين ولكنّه لا يؤثّر فيهم جميعاً بالكيفية نفسها، تأثيره يختلف حسب الزمن الذي يقضيه الناس أمام الشاشة وحسب محتوى الحصص. فضلاً عن ذلك، فإنّ المستوى التعليمي والوسط الاجتماعيّ بما في ذلك السياق العائلي للمشاهد- هي عوامل تحدّد بعمق التأثير الذي يمارسه التلفزيون، من حيث أنّ العائلات نادراً ما تكثرث أو تتدخل في هذا الإطار، كما المدرسة التي تطلّ لامبالية به، فلا يكون أمام التلاميذ سوى الاتكال على أنفسهم من أجل إعطاء معنى لما يقدّمه لما تقدّمه لهم وسيلة الاتصال هذه.

إذا كانت التلفزة تمارس مثل هذا التأثير على الصغار فلأنّ المؤسسات الأخرى التي تهتم بالأطفال تعمل اليوم بشكل سيّء جداً. في أزمنة أخرى وفي أماكن أخرى كان بوسع التلفزيون أن يكون له أثر آخر، ربّما هو من باب الرومانسية الزائدة التذكير بأنّ الحكايا على لسان الحيوان كانت تحتل مكانة كبيرة في القرون الماضية في حياة الأطفال، ومنذ فترة وجيزة كنّا لا نزال نقوم بالقراءة للصغار ونشجّع الكبار على هذا النشاط؟

اليوم وفي كنف عائلات كثيرة عوّضت التلفزة الحكايات بقصص حديثة متجانسة ولكنّها أقلّ تماسكاً، والوقت الذي تقضيه في مشاهدتها حولهم عن القراءة، كما أنّ قدرتهم على القراءة لم تتطوّر. نحن نمنح على كل حال اعتباراً قليلاً لهذا النشاط فيجد الأطفال أنفسهم تحت رحمة خادم خائن لا يمنحهم سوى قصصاً مفكّكة بلا رابط حيث تتحرّك شخصيات لا واعية. في نواحي كثيرة يتم العثور على مشاكل المدرسة في التلفزيون، فلم يعد الامتياز هم المدرسة وهو فن لا يعنى به التلفزيون، وإشارة فضول الناس راح يزداد ضعفاً ولم يعد يطلب منهم الانخراط، وهي على الأقل نقطة تتفق حولها المدرسة مع منتجي التلفزيون.

لم نعد نتحدّث عن التربية وإنّما عن الممارسة، فمن يتولّى تعليم القيم، المدرسة أم الأسرة؟ إنّه التلفزيون بالتأكيد، ولكن هل القيم التي يرسّخها هي تلك التي نريد أن يتبنّاها أبناؤنا؟ الذين يشاهدونه بكثرة متأثرون بما ينقله، والصّور المشوّهة التي تتدفّق لا تميّز بالعنف فحسب، وإذا أفرط أطفالنا في استخدام هذا الأخير وتأثّر نموّهم بمقتضى ذلك، فعلى من نلقى اللوم؟ من المسؤول؟ المسؤولية تتوجّب على التلفزة ذاتها.

في الولايات المتحدة الأمريكية التلفزيون مؤسسة شرهة تخدم مصالح المؤسسات التي تمولّها أكثر ممّا تخدم المصلحة العامّة، وبشدة استعملت العنف لشدّ وجذب الانتباه،

واستمرّت في فعل ذلك رغم استياء الرّأي العام حيث تبدو وظيفتها التجاريّة في كلّ ما تقوم به. إنّ التّلفزة مسؤولة عن محتوى الحصوص ولكن استخدامات الأشخاص لها لا تتعلّق بها. هل يلام الأطفال ويوبّخون؟ هل هو خطؤهم أن ينقل التلفزيون أخباراً — مغلوطةً إلى هذا الحدّ؟ والمدرسة التي يتمثّل دورها في نقل الثقافة أليست مسؤولة ولو جزئياً — عن هذا الوضع؟ ألم نخفق حتّى اللّحظة في توجيهنا استخدامات التلفزيون.

ليس التلفزيون مطالباً بالزّوال أو الاختفاء ولكن أن يشكّل وسطاً ملائماً لتكليف الأطفال مع الجماعة هو احتمال ضئيل، وهو واقع ينبغي علينا أن نقبل به، بوسعنا أن نحاول تحسين الأشياء، أن نتأكّد أنّ البرامج التي يقدّمها للأطفال ذات نوعية أفضل، ولكنّ الأهم أن نبيّن للأطفال أنّ التّلفزة ليست مصدراً للأخبار عن العالم، وإذا أردناهم أن يخصّصوا لها وقتاً أقلّ علينا أن نقترح عليهم نشاطات أخرى. هم بحاجة إلى أن يعرفوا أنفسهم كمعرفة العالم الخارجي، ولا يمكنهم الحصول على هذا التّعليم إلّا من خلال تجاربهم الخاصّة ومن خلال الاتّصال المباشر مع أناس آخرين. ما يلزمهم هو مزيدٌ من التّجارب وتلفزة أقلّ.

إنّ التلفزيون عاجز عن تعليم الأطفال ما هو ضروريٌّ من أجل أن يصبح المرء بالغاً. إنّهُ أداة إشهارية، ومن هذه الزاوية فمن المشروع أن يكون له مكانة، بوسعنا أن يكون مرفهٌ والترفيه ليس في حدّ ذاته شرّاً. يمكن أن يكون لهدورٍ إخباريٍّ وهذا شيء جيّد، ومع ذلك فهو لا ينجح في أن يكون أداة تكيف اجتماعيٍّ مقبولة. هذا الذي يجب أن نعترف به وبسبب هذا المشكل علينا أن نتدخّل، وعلى المدرسة والأسرة أن تلعب دوراً أساسياً في هذا المجال وتقوم بأكثر ممّا تفعله الآن، وينبغي مساعدتها قدر الإمكان. بوسعنا أن نبدأ بالقليل من التأثير الذي يمارسه التلفزيون على حياة الأطفال وستكون بداية جيّدة. لقد حان الوقت للقيام بذلك.